

إِفْهَامُ الْأَنْوَامِ مَا هِيَ غَافِلَةٌ عَنِ الْإِمَامِ

رد على الشيخ عبد الحليم الغزي في
إشكاله على السيد الشهيد ندس سره
في موضوع غفلة الإمام المهدى (ع)



علي الزيدى

دار الكاتب العربي

**إِفْهَامُ الْأَنَاءِ
مَاهِيَّةُ خَفْلَةِ الْإِعْلَامِ**

إِفْهَامُ الْإِنْسَانِ

مَا هِيَةُ غَفْلَةِ الْإِلَمَامِ

رد على الشيخ عبد الحليم الغزى في إشكاله على السيد
الشهيد قدس سره في موضوع غفلة الإمام المهدى عج

علي الزيدى



اسم الكتاب: إفهام الأنم ماهية غفلة الإمل

اسم المؤلف: علي الزيدبي

اسم الناشر: دار الكاتب العربي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٦٩) لسنة (٢٠١٧)

جُّهْوَقُ الظَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

عام ١٤٣٨ - ص ١٧

يمكنكم التواصل مع المؤلف على الإيميل

alzaidi313@yahoo.com



العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - منب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت

الإهداء

إلى سيد الشهداء السعيد

آية الله العظيم محمد الصدر قدس سره

وهو في عليائه ..

راجياً منه القبول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُّونَ
أَخْسَطَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر : ١٨ .

صدق الله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين
الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم أجمعين .

البعض من يظن بأنه متبع بارع في كشف المغالطات
والأخطاء التي يقع فيها بعض العلماء والمفكرين، ونتيجة
الإلحاح في هذا الأمر، وعدم الترثـ في التعرض لبعض
الأسئـة التي يحتاج ما يقومون بطرحـه من مطالب مهمة إلى
فهم عمـق، بعيد عن السطـحية، مضافاً إلى الإـحتياجـ
لتخصص ومهـارـة في الموضوع الذي يـشارـ ضـدهـ الإـشكـالـ، ومنـ
ثم اعتبارـهـ منـ الـهـفـواتـ .

هـؤـلـاءـ فيـ الحـقـيقـةـ أـحـيـانـاـ يـضـعـونـ أـنـفـسـهـمـ فيـ عـنـقـ الزـجاجـةـ

لأنهم في الواقع لم يعرفوا أصل المطلب، وما هي الغاية من إيراده، سواء كان في كتاب أو محاضرة معينة، ولعمري لو كان صاحب المطلب حياً لأجابه ولرفع الحجاب الذي لم يتمكن بسيبه المعترض من الرؤية الصحيحة لما طرحته من فكر.

ومن هؤلاء الشيخ عبد الحليم الغزي، عندما أشكل على السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره وبالخصوص على كتاب موسوعة الإمام المهدى، ويقول فيه الكثير من التغرات والهفوات، ثم يذكر واحدة منها حول غفلة الإمام المهدى عليه السلام التي ذكرها السيد الشهيد قدس سره في كتاب "تاريخ الغيبة الكبرى".

والحقيقة أنَّ الشيخ الغزي لو تريث قليلاً وتصفح موضوع الغفلة جيداً لتمكن من فهم المطلب بشكل يخالف ما فهمه حينما اعترض عليه.

عموماً ففي هذا الكتاب سناحول بيان الإلتباس الذي وقع فيه الشيخ، وستثبت إن شاء الله تعالى أحقيّة وصحّة ما تم طرّه من قبل السيد الشهيد قدس سره، بأدلة عقلية وعقائدية وفلسفية، بحيث ينكشف الحق كالشمس في رائعة النهار، وليس هذا فقط، بل ستثبت في آخر المطلب بأنّ أصل الاعتراض لا ينهض ليكون إشكالاً ضدّ ما طرّه السيد الشهيد قدس سره.

وأخيراً أدعو الله عزّ وجلّ أن يكون دفاعي عن السيد الشهيد قدس سره، وذلك برفع مواضع الإشكال التي يطرحها الآخرون عليه، خالصة لوجهه الكريم . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين .

علي الزيدى

٢٠١٥ / ٥ / ١

إشكال الشیخ عبد الحلیم
الغزی علی السید الشهید
محمد محمد صادق الصدر
قدس سره عندما تعرض
لعلم الإمام المهدی و عدم
الالتزام بکونه ملتفتاً الى کل
الأمور في الكون دفعۃ واحدة

- ❖ نص ما قاله الشيخ عبد الحليم الغزى .
- ❖ اعتراضان على السيد الشهيد قدس سره وليس واحد .
- ❖ اثبات واقعية ما قاله السيد الشهيد قدس سره .
- ❖ نص ما قاله السيد الشهيد قدس سره .
 - ❖ معنى الغفلة ومواردها .
 - ❖ أقسام الغفلة .
 - ❖ أقسام العلم .
- ❖ الأحجوبة التي تثبت صحته ما ذهب إليه السيد الشهيد قدس سره .

نص ما قاله الشيخ

عبد العليم الغزي

نص ما قاله الشيخ عبد الحليم الغزي

في فضائية الزهراء ظهر برنامج وكان الذي يديره الشيخ عبد الحليم الغزي وقال فيها قال فيه وهو يتقدّم بعض علماء الدين، ومنهم السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره، وكان نقه منصباً على عبارة أطلقها السيد الشهيد في كتاب موسوعة الإمام المهدي حول مسألة علم الإمام المهدي، وأنقل إليكم نص ما قاله الغزي بحسب ما تلفظه لا نغير منه شيئاً، فإذا تكررت العبارة أو لم تكن مترابطة فهذا ليس منا وإنما منه، حيث قال:

[السيد محمد الصدر، السيد محمد محمد صادق الصدر في كتابه الموسوعة، هناك الكثير من التغرّات والهفوات التي هي من هذا النوع.]

السيد محمد محمد صادق الصدر هو أيضاً جزء من هذه المحاولة الإصلاحية، وإن كان السيد في مرجعيته تغيرت الكثير من وجهات نظره . لكن هذا الكتاب كتب أيام السيد محمد باقر الصدر، وهو الذي كتب له مقدمة، المقدمة التي طبعت على حِده، بعد ذلك معروفة بعنوان (بحث حول المهدى) .

هذا تاريخ الغيبة الكبرى، وأخذ نموذج، الموسوعة خصوصاً، يعني الغيبة الكبرى وتاريخ ما بعد الظهور، هناك الكثير من أحاديث وروايات المخالفين التي تعامل معها السيد محمد الصدر، كما تعامل مع أحاديث وروايات أهل البيت . وهذه مشكلة واقعاً في المنظومة الفكرية العقائدية الشيعية . في كتاب تاريخ الغيبة الكبرى، الطبعة الأولى، طبعة

الأولى في قم، وإنما الطبعة الأولى كانت قديمة في السبعينات، طبعة الأولى بحسب المطبعة مطبعة قلم، قم ٢٠٠٧ م ص ٤٣٢ وما بعدها: (إن الإمام ع بالرغم مما يستدل عليه في الفلسفة، من استحاله الغفلة عليه، الفلسفة في الوسط الإمامي الشيعي الفلسفة الإلهية الشيعية، إن الإمام عليه السلام بالرغم مما يستدل عليه في الفلسفة من استحاله الغفلة عليه، إن الغفلة مستحيلة عليه فهو عقل متكملاً لا يمكن الإلتزام بكونه ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعه واحدة، فإن ذلك من خصائص الله عزّ وجلّ وحده)^(١).

(١) الكلمات التي يكون الخط تحتها هي كلمات السيد الشهيد قدس

إذن كيف القرآن يتحدث هكذا: ﴿وقل اعملوا
فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ الخطاب
هنا ليس محدوداً بزمان معين ولا بمكان معين وليس
محدوداً بالحالات العلنية، ولا بالحالات السرية،
وليس محدوداً بما يفعله الإنسان في الخارج أو بما
تنطوي عليه نيته في الداخل ﴿وقل اعملوا فسيري
الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ من دون قيد
زمني، ومن دون قيد مكاني، من دون قيد شخصي...
من دون قيد في كيفية العمل .

كيف لا يمكن أن تكون لهم رؤية موحدة وواحدة،
على أيّ حال، أنا هنا لا أريد أن أناقش، لأن هذا
المحدث يحتاج إلى تطويل وتفصيل . لا يمكن
الالتزام بكونه ملتفتاً، الإمام المعصوم إلى كل الأمور

في الكون دفعة واحدة . فإن ذلك من خصائص الله
عز وجل وحده ولا يقوم ذلك البرهان بإثباته . إذن
فالغفلة بهذا المعنى ضرورية الثبوت للإمام ، بلا
إشكال ، ومع الغفلة لا يمكن أن يريد أن يعلم ، إذا
كان غافل فهو لا يريد أن يعلم ، يعني علم الإمام
ناقص ، وعنه غفلة . فكثير من الأمور لا يعلم بها
لماذا ؟ لأنه أساساً غافل ، وفي حال الغفلة هو غافل
عن أن يريد أن يعلم ، إذن فالغفلة بهذا المعنى
ضرورية الثبوت للإمام ، بلا إشكال ، ومع الغفلة لا
يمكن أن يريد أن يعلم فإن ارادة العلم تتوقف على
الإلتفات لا حالة ، وبدونه لا معنى لهذه الارادة ،
بدون الإلتفات والإمام في حال غفلة ، إذن هو يجهل
كثير من الأمور .

على هذا الأساس، فإذا لم يرد الإمام أن يعلم لا تنطبق هذه القاعدة بطبيعة الحال . وإعلام الله تعالى إياته لا يتحقق .

هو الكلام هل أن الإمام يعلم كل شيء أو لا يعلم ؟
 التبيّن أن الإمام لا يعلم كل شيء، وهذه الروايات
 لا معنى لها لأنهم يعلمون ما كان وما يكون، وما هو
 كائن وما كان وما يكون، وما هو كائن ليس الحديث
 عن الزمان والزمان هنا الحديث عن الإطلاق بغض
 النظر عن الزمان وعن المكان، الكلام طويل
 والحديث طويل، يتحدث عن تكامل العصمة عن
 تكامل الإمام ص ٤٣٢-٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥ على
 هذا النمط، إن الإمام عنده نقص، وهذا النقص
 يتكمّل شيئاً فشيئاً.

أيام حياة السيد الصدر، وأيام كان السيد محمد
الصدر في جو السيد محمد باقر الصدر، في ذلك الجو
والسيد محمد باقر الصدر قرأ الكتاب، وهذه
المعلومات موجودة فيه ومدح الكتاب مدهشاً شديداً.
إذن هو يوافقه على هذه الآراء، يوافقه على هذه
الأفكار لكنني أقول: بأن السيد محمد الصدر في آخر
أيام حياته صرخ وأكثر من مرة بأنه يرغب في تغيير
الكثير من المطالب الموجودة في كتابه الموسوعة، وهذا
الأمر يعرفه القريبون من السيد محمد الصدر
رضوان الله تعالى عليه [انتهى كلامه .

اعتراضان على السيد الشهيد
قدس سره وليس واحد

اعتراضان على السيد الشهيد قدس سره وليس واحد

والحقيقة إن في هذا القول إعتراضان على السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر وليس إعتراضًا واحدًا وهم:

الأول: بأن هناك الكثير من أحاديث وروايات المخالفين التي تعامل معها السيد محمد الصدر قدس سره، كما تعامل مع أحاديث وروايات أهل البيت . فقال بأن هذه مشكلة واقعاً في المنظومة الفكرية العقائدية الشيعية .

الثاني: اعتراض على قول السيد الشهيد: (لا يمكن الالتزام بكون الإمام ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعه واحدة، فإن ذلك من خصائص الله عزّ وجلّ وحده) .

فهو يرفض هذه الفكرة، ويعتبرها ثغرة وهفوة على

اعتبار ان القرآن هو الذي ينقض ما ذهب اليه السيد الشهيد محمد صادق الصدر بقوله تعالى: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾** معتبرا الخطاب هنا ليس محدوداً بزمان أو مكان معين، ولا محدوداً بالعلن أو السر، وليس محدوداً بما يفعله الإنسان خارجاً أو ما انطوت عليه نيته .

اثبات واقعية ما قاله

السيد الشهيد قدس سره

اثبات واقعية ما قاله السيد الشهيد (قدس)

وإننا الآن في صدد اثبات ما قاله السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره في عدم الالتزام بكون الإمام ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعة واحدة. وسوف نترك الرد على الاعتراض الأول على اعتبار إن كتابنا هذا بخصوص الدفاع عن المعصومين عليهم السلام ورفع بعض الشبهات عنهم، وهذا مما لا يحصل في الاعتراض الأول، كونه يعرض فيه على طريقة اختيار السيد الشهيد للأحاديث والروايات التابعة للمخالفين وهذا بعيد عن موضوع كتابنا.

أما بخصوص الاعتراض الثاني، وكيفية اثبات صحة ما قاله السيد الشهيد قدس سره، فإننا سنتثبت ذلك ولكن بعد أن نتعرف على بعض الأمور، منها أن نعرض نص ما قاله

قدس سره في كتابه تاريخ الغيبة الكبرى، ونترك المقاطع المبتورة أو المستقطعة، لأنها كثيرةً ما تغدو القارئ وتجعله في حيرة وتساؤلات عده قد يكون كثير من اجاباتها في المقطع الكامل غير المبتور أو المقطوع وهذا الإجراء، أي اختيار المقاطع المبتورة ورفعها من الأصل مع احتياجها إليه، هو إجراء غير علمي ولا يمت للموضوعية والتجرد بصلة -
والأآن لنتنقل ما قاله السيد الشهيد قدس سره:

**نص ما قاله السيد
الشهيد قدس سره**

نص ما قاله السيد الشهيد (قدس)

إن السيد الشهيد قدس سره أعطى اطروحة محتملة حول تكامل الإمام المهدي حيث قال: (إن معاصرة المهدي عليه السلام التاريخية الطويلة للأجيال، توجب له الإطلاع المباشر على قوانين تطور التاريخ وتسلسل حوادثه وما يؤثر في المجتمعات البشرية ونفوس الأفراد من مؤثرات سلبية وإيجابية، مما لا يمكن التوصل إليه عن طريق آخر أصلًا، كمراجعة التواريخ المسجلة أو معاصرة الحقبة الزمانية خلال حياة قصيرة).

فإن التاريخ أضيق وأعجز من أن ينقل إلينا تفاصيل الحوادث بشكل دقيق وعميق، ولا يمكن أن نعيش من خلال نفس الحوادث المؤرخة بشكل موضوعي

خالص... وقد سبق أن برهنا على ذلك في مقدمة
تاريخ الغيبة الصغرى .

وأما الحقبة الزمنية المعاصرة لحياة الفرد الاعتيادي،
 فهي أيضاً أضيق وأعجز من أن تطلعه على التاريخ
البشري العام .. وإنما يستتبع الفرد منها أموراً
بمقدار قابلياته ومستوى تفكيره وحدود الزمان
والمكان التي يعيشها .

فلا يقاس كل ذلك، بمن عاصر التاريخ كله وعاش
خلال تقلباته وانطلاقاته خلال عصر الفتن
والانحراف، واستطاع أن يربط الأسباب بمسبياتها..
فإنه يستطيع أن يلم بقوانين التاريخ بنظرة أوسع
واشمل، مما يسر له إلى حد بعيد وضع المخططات
ذات التأثير الفعال في أي ميدان من ميادين الحياة،

بعد ظهوره، بل وحتى في عصر غيابه، بعد الذي
عرفناه، طبقاً لأطروحة خفاء العنوان، من أن المهدى
يعمل - في بعض الحدود - خلال غيابه، في مصلحة
الإسلام وال المسلمين .

ولا يبقى تجاه هذه الأطروحة من تسؤال، إلا ما دل
من الأخبار على أن الإمام متى أراد أن يعلم أعلم
الله تعالى ذلك . فإنه قد يقال: أنه لا حاجة إلى هذه
الأطروحة بعد أن كان في إمكان الإمام المهدى عليه
السلام أن يعلم بقوانين التاريخ تفصيلاً، بل بحوادثه
أيضاً و بمجرد أن يريد ذلك.

ويمكن الجواب على هذا التساؤل على عدة
مستويات، نذكر منها مستويين:

المستوى الأول:

أنه ورد في الأخبار أن الله تعالى قد يحجب الإلهام عن الإمام عليه السلام متى شاء.

فمن ذلك: ما أخرجه الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الバاقر عليه السلام أنه قال: يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنا فلا نعلم . ومعه فمن المحتمل - على أقل تقدير - أن تكون بعض القوانين العليا أو الكلية للتاريخ، يحجب الإلهام بها عن الإمام المهدي عليه السلام لكي يعيشها في الحياة، ويستتجها عن طريق التجارب الحسية المباشرة لتطورات التاريخ .
وإذا كان الإطلاع المباشر أكثر رسوخاً في النفس، من العلم النظري، كانت المصلحة متعلقة لا محالة، بتحويل المهدي عليه السلام على حوادث التاريخ

مباشرة، وحجب الإلهام عنه، بهذا الخصوص، لكي يكون أكثر كمالاً، وأسهل تطبيقاً لليوم الموعود .

المستوى الثاني:

إن هذه القاعدة: إذا أراد الإمام أن يعلم أعلمه الله ذلك، التي نطق بها الأخبار، بالرغم من عمقها وسعتها، وأفضلية الواجب لها على كل الآخرين . إلا أنه - مع ذلك - لا ينبغي المبالغة في نتائجها .

فإن فيها نقطة ضعف رئيسية، وهي تعليقها على الإرادة، فإن الإمام إذا أراد أن يعلم أعلمه الله تعالى، وأما إذا لم يرد أن يعلم فإن إعلام الله تعالى له لا يتحقق . فإذا استطعنا أن نضم إلى هذه القاعدة أمرين آخرين استطعنا أن نعرف كيف أنه لا ينبغي المبالغة في نتائجها .

الأمر الأول:

إن الإمام عليه السلام، بالرغم مما يستدل عليه في الفلسفة من استحالة الغفلة عليه... لا يمكن الالتزام بكونه ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعه واحدة . فإن ذلك من خصائص الله عزّ وجلّ وحده. ولا يقوم ذلك البرهان بثباته .

إذن فالغفلة، بهذا المعنى ضرورية الثبوت للإمام بلا إشكال . ومع الغفلة لا يمكن أن يريد أن يعلم . فإن إرادة العلم تتوقف على الإلتفات لا محالة، وبدونه لا معنى لهذه الإرادة .

فإذا لم يرد الإمام أن يعلم، لا تتنطبق هذه القاعدة بطبيعة الحال، وإعلام الله تعالى إياه لا يتحقق .

الأمر الثاني:

المظنون جداً، ارتباط هذه القاعدة بالموارد الجزئية، والحوادث المتتجددة، ففي كل حادث معين إذا لم يجد الإمام عليه السلام حلّاً لمشكلته وأراد أن يعلم ذلك أعلمه الله تعالى إياه . وأما شمول هذه القاعدة لعمومات واسعة، كالعلم بكل شيء أو بكل الحوادث في الأرض أو بكل التاريخ البشري مثلاً، فمن المستبعد جداً أن الإمام يطلب من الله تعالى العلم بذلك دفعه واحدة . والمدلول العام للقاعدة الذي يعطيه سياقها، يأبى شمولها مثل ذلك . فإذا تم هذان الأمران، كان من المتعين للمهدي عليه السلام حين تتعلق المصلحة بإطلاقه على القوانين العامة للتاريخ، أن يعيش هذا التاريخ، وينظر

تفاصيل حوادثه وترابطها وتسلسلها، لكي يستتبّج،
 هو بفكرة الثاقب وبالإلهامات المتتابعة في كل واقعة،
 ما يمكن التوصل إليه من هذه القوانين^(١) انتهي قوله
 قدس سره .

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: للسيد الشهيد الصدر، ص ٤٦٩ وما بعدها.

معنى الغفلة ومواردها

معنى الغفلة ومواردها

وكذلك قبل الإجابة على الإشكال علينا أن نعرف معنى الغفلة، فالغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتنبيه^(١).

وجاء في كتاب الكليات: (والغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه . قوله تعالى: « وما كان عن الخلق غافلين »، أي مهملين أمرهم)^(٢).

وفي كتاب التعريفات: (الغفلة: متابعة النفس على ما تشتهي، وقال سهل: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة، وقيل الغفلة عن الشيء، هي ألا يخطر ذلك بباله)^(٣).

(١) مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، ص ٦٠٨.

(٢) الكليات: لأبي البقاء، ص ٣٢٥.

(٣) التعريفات: للشريف الجرجاني، ص ١١٦.

وقال صاحب كتاب الفروق اللغوية في الفرق بين الغفلة والسهو: (أن الغفلة تكون عما يكون، والسهو يكون عما لا يكون، تقول: غفت عن هذا الشيء حتى كان، ولا تقول: سهوت عنه حتى كان، لأنك إذا سهوت عنه لم يكن، ويجوز أن تغفل عنه ويكون). وفرق آخر أن الغفلة تكون عن فعل الغير، تقول: كنت غافلاً عما كان من فلان، ولا يجوز أن يسمى عن فعل الغير^(١).

وجاء في معجم مقاييس اللغة: (غفل: يدل على ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد، من ذلك: غفت عن الشيء غفلة وغفولاً، وذلك إذا تركته ساهياً،

(١) الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري، ص ١١٢.

واغفلته، أذا تركته على ذكر منك)^(١).

والغفلة كما جاءت في كلمات العالمة المحقق المصطفوي
(الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره
له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضماً، يقال:
غفلت عن الشيء غفولاً. وأغفلت الشيء إغفالاً
تركته إغفالاً من غير نسيان))^(٢).

وفي تحقيقه للكلمة قال:
(إن الأصل في مادة غفل: هو ما يقابل التذكر ثم
قال، فالغفلة عبارة عن انتفاء التذكر)^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، ص ٧٧٢.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن: للعلامة المصطفوي، ج ٧ ص ٢٩٩ نقلأً
عن مصباح اللغة للفيومي .

(٣) المصدر السابق: ج ٧ ص ٢٩٩ .

وقوله هذا لا يستقيم بإطلاقه، فالمعروف أن الذي يقابل التذكر هو النسيان، وان الغفلة قد لا تكون عن عدم التذكر، وإنما قد يكون الشيء منظوراً إليه ويجول في ثنايا الفكر وأروقة الذهن، ولكن يتعمد الإنسان الإشغال عنه وعدم الالتفات إليه، فيكون غافلاً عنه . وحينها لا داعي من اعتبار الغفلة هي عبارة عن انتفاء التذكر . إِلَّا اللَّهُمَّ قَدْ قَصَدْتُ بِعِبَارَةِ انتفاءِ التذكرةِ، بِأَنَّ يَكُونَ الشَّخْصُ قَدْ تَعَمَّدَ عَدَمَ التذكرةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ غَافِلًا، وَهَذَا بَعِيدٌ عَنِ الْمُطْلُوبِ كَمَا هُوَ وَاضْحَى .

وبعد ما عرضنا معاني الغفلة يمكن القول بأن الغفلة: هي عدم الالتفات إلى الشيء عمداً أو سهواً أو قصوراً أو تقصيرأ .

كما إنَّ الغفلة تكون في الأمور المادية، كقوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفِلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ﴾ النساء،

١٠٢، وتكون في الأمور المعنوية كقوله تعالى: **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾** الروم، ٧،
وتعريف الغفلة بهذا المعنى، وبأي اعتبار كان، لا يمكن
أن يكون بحق الأئمة عليهم السلام، فمثل هذه المعاني أصلًا
تنافي مقام العصمة من عدة جهات لا من جهة واحدة، لا بل
يمكن القول - إن إلتزمنا بهذا المعنى - لن يبقى مسوغ أصلًا
للكلام عن العصمة وما يلازمها من أمور.

أقسام الغفلة

أقسام الغفلة

ورد معنى من معاني الغفلة، كما أشرنا إليه سابقاً وهو للجرجاني قال: (إن الغفلة عن الشيء هي إلا يخطر ذلك بباله). ومن هذا المعنى يمكن أن نعطي تصوراً آخر لمفهوم الغفلة، ويمكن بيان ذلك من خلال التوضيح الآتي:

علينا أن نميز مفهوم ومعنى الغفلة، ونرى هل هو مفهوم ينظر إليه من جهة واحدة وإعتبار واحد؟ أم إنه مفهوم له عدة إعتبارات ومناشئ؟ فمن هذه الناحية يمكن أن نقسم الغفلة وما تتعلق بالفرد نفسه إلى ما يلي:

القسم الأول:

الغفلة التي يتلبس بها الفرد، ويكون عندها مصدراً للذم وال النقد، ولقد كثرت الآيات والأحاديث والأدعية في ذم

مثل هكذا نوع من الغفلة، بإعتبار أنها متى ما أناخت برحيلها في ذهن وفكر الفرد، تخلف عن المطلوب، وحرم من كماله، وأصبح من المحرومين الذين لن ينالهم الخير لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومن الآيات التي وردت في ذم الغفلة قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾

الكهف، ٢٨.

- ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

الاعراف، ١٧٩.

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يونس، ٧.

- ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم، ٧.

- ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ..﴾

ق، ٢٢.

- ﴿اقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ﴾

الأنبياء، ١.

ومن الأحاديث الشريفة التي وردت في ذم مثل هذا
القسم من الغفلة نذكر البعض منها:

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أغفل الناس من لم يتعظ
بتغير الدنيا من حال إلى حال) ^(١).

- عن أمير المؤمنين عليه السلام: (الغفلة أضر الاعداء) ^(٢).

- عنه عليه السلام: (الغفلة ضلال النفوس، وعنوان

(١) ميزان الحكمة: لحمد الريشهري، ج ٧ ص ٣٠٣٢.

(٢) نفس المصدر: ج ٧ ص ٣٠٢٦.

النحوس)^(١).

- وعنه عليه السلام: (فيما لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن تؤديه أيامه إلى الشقة)^(٢).

- وعنه عليه السلام: (أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى: فميت يُبكي، وأخر يُعزّى، وصريع مبتلى، وعائد يعود، وأخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبها، وغافل وليس بمحفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي)^(٣)

وأما ما ورد في أدعية الأئمة عليهم السلام في ذم هكذا قسم

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٧٣.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٩٣.

من الغفلة:

- جاء في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام في أيام شعبان:

(إلهي لم يكن لي حَوْلٌ فَانْتَقَلَ بِهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ إِلَّا فِي
وَقْتٍ أَيْقَظْتَنِي لِحَبَّتِكَ، وَكَمَا أَرَدْتَ أَنْ أَكُونَ كُنْتُ،
فَشَكَرْتُكَ بِإِذْخالِي فِي كَرِيمَكَ، وَلِتَطْهِيرِ قَلْبِي مِنْ
أَوْسَاخِ الْغَفْلَةِ عَنْكَ ...)^(١).

- وقال سيد الساجدين عليه السلام في مناجاة التائبين: (إلهي

أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ سَمِيَّتُهُ التَّوْبَةُ
فَقُلْتَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ
دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ ...)^(٢).

- وفي دعاء أبي حمزة الشمالي: (... أَوْ لَعْلَكَ رَأَيْتَنِي فِي الْغَافِلِينَ،

(١) مفاتيح الجنان: للقمي، ص ٢١٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٦٧.

فَمِنْ رَحْمَتِكَ أَيُسْتَشْنِي ...)^(١)

- وكان الإمام الصادق عليه السلام يدعوه في كل يوم من رجب ويقول: (...اللَّهُمَّ فَأَهْدِنِي هُدًى الْمُهَتَّدِينَ وَازْرُقْنِي اجْتِهَادَ الْمُجْتَهِدِينَ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ الْمُبْعَدِينَ ...).^(٢)

فهذه الآيات والأحاديث والأدعية كلها ذمت هذا القسم من الغفلة، فحذّر الله تعالى العباد منها، لأنها تكون غفلة عن أشياء وأمور كلها موجودة ومعلومة لدى الفرد، ولكنه يغفل عنها، قصوراً أو تساححاً أو تقصيرًا. وما ذلك إلا لأنها قد وجدت في دائرة علم الفرد وإحاطته بها، ولكنه لم يعمل على ضوءها، ولم يلتفت لها الإلتفاتات المرجوة منه،

(١) المصدر السابق: ص ٢٤٤ .

(٢) نفس المصدر: ص ١٨١ .

حتى يستطيع أن ينتقل من خلال يقظته وصحوته، مع ما يطلب منه ويلزم به كعمل ينجزه على الصعيدين المعنوي أو المادي.

القسم الثاني:

الغفلة التي أشارت إليها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُخْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَهُنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور، ٢٣.

قال صاحب مجمع البيان في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُخْصَنَاتِ﴾ أي يقذفون العفاف من النساء (الْغَافِلَاتِ) عن الفواحش^(١).

و جاء في تفسير الفرقان: (وَمَنْ هُنَّ الْغَافِلَاتِ مِنَ الْمُحْصَنَاتِ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي، ج ٧ ص ٢٥١.

المؤمنات؟ لعلهن اللاتي يغفلن عن إفکهن فلا
يدافعن عن أنفسهن، مما يزيد أهل الظنة ظنة فيهن،
فزيادة ثانية في خطر الإفك فيهن، محظورات ثلاثة في
رميهم تتطلب عذاباً ذا أبعاد ثلاثة هي: (لعنوا في
الدنيا) – (والآخرة) – (ولهم عذاب عظيم) !
لأنهن مظلومات في أبعاد ثلاثة، فقد يجسم التعبير
بشاعة تلك الجريمة الأفکة في تصويرهن غافلات
غير آخذات حذرلن من رمية الإفك، لأنهن
مطمئنات بأنفسهن بريئات الطوایا، إذ ما أتين بشيء
ولا تقارفنه حتى يحدرنه !)^(١).

وهذا النوع من الغفلة يحيط بالفرد بعد أن لم يكن شيء
يدعو للتنبه والتيقظ منه، إذ من المفروغ منه أن هذا الشيء لا

(١) الفرقان في تفسير القرآن: للعلامة المصطفوي، ج ٢٠ ص ٢٠٩.

يعني الفرد بأمر قريب أو بعيد . أو قل ما دام الفرد لديه علم يقيني بأن الشيء المغفول عنه لن يصدر منه، ولا حتى في عالم الخطرات والظنون، فحيثذا لا يدع مفردات التعامل معه تجول في عالم الذهن لتقوم بدفعه لارتكاب الفعل المغفول عنه . لأنه واقعاً لم يكن لها مصاديق حتى تتحقق في عالم الخارج، ولذلك يبقى غافلاً عن مثل هكذا أمور .

القسم الثالث:

هناك قسم من الغفلة مدوح، بل مطلوب وراجح على ما يقابلها من المفاهيم والمعاني، ومثال ذلك ما روي عن الأئمة المعصومين:-

- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (إن العاقل نصفه

احتیال ونصفه تغافل^(١)

- وعنہ علیہ السلام قال: (من لم يتغافل ولا يَغُضَّ عن كثير

من الأمور تنحصرت عيشه)^(٢)

- وعنہ علیہ السلام قال: (أشرف أخلاق الكريم تغافله عما

يعلم)^(٣).

- عن الإمام زين العابدين علیہ السلام قال: (إعلم يابني أنَّ

صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن

المعايش ملء مكيالٍ ثلاه فطنةٌ وثلثةٌ تغافل لأنَّ

الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن

(١) ميزان الحكمة: للريشيري، ج ٧ ص ٣٤٠.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن له^(١)

كل ذلك من باب أن هناك أشياء وأمور كثيرة، إن
إلتفت إليها الفرد وبنى عليها كثيراً من التصرفات
والتعاملات، فإنه سوف يجهد نفسه كثيراً، لا بل قد يصل إلى
حد التقاطع والتصادم مع الآخرين، وحينها ستصبح حياته
جحيناً لا يطاق، فعليه بمثل هذه الحال، أن يغض الطرف
ويتغافل عنها عن علم وعمد، من أجل أن يلتفت ويتعايش
مع الأمور المهمة، والتي لها دور مباشر في تربيته وتكامله،
تلك الأمور التي تنبع من شعوره بالمسؤولية المناطة به ككائن
بشري يحمل صفات الإنسانية العليا أولاً، وككائن يحمل على
عاتقه رسالة الإسلام ثانياً.

(١) نفس المصدر والصفحة.

القسم الرابع:

الغفلة التي تحيط بالفرد نتيجة عدم علمه وإحاطته
بأشياء تكون خارج دائرة ادراكه وحدود معرفته وإطلاعه.
أو قل هناك وسع للفرد قد أعطاه الله عز وجل له، وقد
يتكون ضمن هذا الوسع ولا يتعداه على اعتبار محدوديته
المقيد بها، كما قال تعالى:

- «وَلَا يَكُلُّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَذِينَا كِتَابٌ يَنْتَلِقُ بِالْحُقُوقِ
وَمُمْلِئُ لَا يُظْلَمُونَ» المؤمنون، ٦٢.

- «لَا يَكُلُّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا» الطلاق، ٧.

وعندما يكون غير ملتفت وغافلاً عنها هو خارج عن هذا
الوسع والإحاطة، لا يكون الفرد عندها ملاماً، ولا يحق لأي
أحد أن يذمه ويحاسبه على هذه الغفلة، وذلك لأن ما غفل عنه

لم يكن حاضراً عنده، ومن ثم سهى وغفل عنه، ليكون
تقصيرًا منه .

والغفلة التي تكلم عنها السيد الشهيد محمد محمد
صادق الصدر قدس سره من هذا القسم، لا القسم الأول،
الذي ذكرناه حتى تكون مستهجنة ومرفوضة من الآخرين .
فإن الغفلة في قسمها الأول هيئات أن تتعلق بالعصوم، أو أن
يتصف بها في أي آن من الآنات، أو تحت أي ظرف من
الظروف .

هذا مع العلم يجب الإنتباه إلى أن الأمور التي يغفل عنها
الفرد والتي لم تكن حاضرة في دائرة معلوماته ومعرفته، لا
يمكن أن يشترك فيها الفرد العادي مع أي أحد من الأئمة
عليهم السلام، لأننا لو جمعنا جميع ما غفل عنه البشر من
الأمور التي لم يحيطوا بها علىًّا وخبرًا، فإنها ستكون حاضرة

لدى الأئمة عليهم السلام ولم تكن لحظة وهم غافلون عنها .
 وذلك لأنه لا يمكن أن تقاس غفلتنا عن الأشياء التي لم نحط بها ، بالغفلة المتعلقة بذواتهم الشريفة ، فعلوّهم فوق ما
 نتصور بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر ، فهم حجج الله على خلقه ومناره في عباده ، فروي عن
 سيف التمار قال : (كنّا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من
 الشيعة في الحجر فقال : علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر
 أحد فقلنا : ليس علينا عين فقال : ورب الكعبة ورب البنية -
 ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأنّه أخبرتهما أنّي أعلم
 منها ولأنّي شهادة بما ليس في أيديهما ، لأنّ موسى والخضر عليهما
 السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن
 حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه

وآلها)^(١).

وكذلك ما روي عن هشام بن الحكم قال: (سألت أبا عبدالله عليه السلام بمعنى خمسين حرف من الكلام فأقبلت أقول: يقولون كذا وكذا، قال: فيقول: قل كذا وكذا، قلت: جعلت فداك هذا الحلال وهذا الحرام، أعلم أنك صاحبه، وأنك أعلم الناس به، وهذا هو الكلام، فقال لي: ويلك يا هشام لا يحتاج الله تبارك وتعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه)^(٢).

إذن تبقى غفلتهم سلام الله عليهم أجمعين عن العلوم التي اختصت بالذات الإلهية المقدسة، وما حوتة من الأسرار

(١) اصول الكافي: لثقة الإسلام الكليني، ج ١ ص ٢٦١.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٢.

والعلوم، فالله تبارك وتعالى وحده عالم بجميع الأشياء والأعمال والحركات والنيات، فهو المتوجه والمتذكر، وهو الذي أحاط بالأشياء، عالم بها والذي لا نهاية لعلمه، فعلمه ذاتي قديم أزلي سرمدي غير محدود، وكيف بالحدود أن يحيط بعلوم غير المحدود.

إذن حسب هذا التقسيم تكون الغفلة ناتجة عن أربعة أشياء هي:

١ - غفلة ناتجة عن تقصير الفرد وإهماله .

٢ - غفلة عن الأشياء التي لم يعتن بها الفرد، لعدم خطورها في ذهنه .

٣ - الغفلة التي جاءت أحاديث وروايات عن أهل بيته العصمة تحت فيها على التظاهر بالتجاهل في حالات

معينة .

٤ - الغفلة عن الأشياء التي تكون خارجة عن دائرة إحاطة
الفرد وعلمه بها، ولم يكن عنده أي تقصير في عدم
ادراكها والإلتفات إليها .

أقسام العلم

أقسام العلم

والآن لا بأس أن نعرج ولو إجمالاً إلى العلم، ومعرفة ماهية العلوم التي يتناولها الأئمة عليهم السلام، وفي هذا يقول

العلامة الشيخ علي النهاري الشاهرودي: العلم قسمان:

(الأول: علم ذاتي أزلي أبدى، ليس مكتسباً ولم يؤخذ من أحد، وهو منحصر بالله تعالى .

الثاني: العلم الذي أخذ من الغير وليس ذاتياً، وعلم المخلوق من هذا القبيل .

إذاً فالعلم، إما ذاتي وإما غير ذاتي، والعلم الذاتي خاص بالخالق، وما كان يملكه أي مخلوق ولن يملكه ، أما علم المخلوق، فهو غير ذاتي، فضلاً عن

أن العلم الذاتي للخالق هو ذاته، وليس له أية سُنْخِيَّة مع علم المخلوق^(١).

ومن جانب آخر ثبت في الفلسفة أن الممكنات في وجودها لها عوالم ثلاثة:

الأول: عالم العقل المجرد، وهو وجود ظلي للوجود الواجبي، وهو مجرد تمام ذاتاً وفعلاً عن المادة، وهذا العالم متقدم في مرتبة وجوده على سائر العوالم الوجودية.

الثاني: عالم المثال، ويسمى أيضاً بعالم البرزخ، لتوسيطه بين العالم العقلي وعالم المادة والطبيعة. وهو عالم مجرد عن المادة دون آثارها من الأشكال والأبعاد، كالكم والكيف ونحوها من الأعراض. ولعله الموجد له هو عالم العقل.

(١) علم الغيب: للشهرودي، ص ٢٩.

الثالث: العالم المادي: وهو عالم الحس، وتعلق
موجوداته بالمادة وإرتباطها بالقوة والفعالية، وتستوعبه الحركة
والتغيير.

وتحتاز هذه العوالم بالسبق واللحوق، أي بعضها سابق
على بعض، وكذلك تحتاز بالترتيب العلّي فيما بينها، أي أن
المتقدم واسطة الفيض لما تحته.

وبعد بيان ما قدمناه، نريد أن نصل من ذلك، إلى إنَّ
العلم الإلهي الذاتي كما بُينَا، لا يختص فقط في عالم العقل أو
المثال دون العالم المادي . فمثل هذا العلم يبقى ساري المفعول
في جميع عوالم الإمكان، ويبقى مخفياً عنمن هو مخلوق له، إلّا إذا
أراد تبارك وتعالى أن يفliest من ذلك العلم الذاتي على من
يشاء من عباده الكمل، فصحيح أن عالم العقل علّته المباشرة
واجب الوجود، ومن ثم إنَّ علّة عالم المثال هو عالم العقل،

وكذلك عالم المثال علة للعالم المادي، لكن تبقى هناك البعض من أسرار عالم العقل تنتقل لمعلوها، لكي تصبح أسراراً معلولة للأولى، وهكذا دون أن يكشف عنها الستار إلا إذا أراد الله تعالى أن يكشف البعض منها كما قلنا.

فالعلاقة بين العلة والعلوٰ هي علاقة تعلقية إرتباطية لا إستقلالية، فسر إرتباط المعلول بعلته إمكانه وإفتقاره للعلة حدوثاً وبقاءً، وهذا ما ذهب إليه الفلاسفة الإسلاميين كصدر المتألهين الشيرازي وغيره.

هذا مضافاً إلى وجود السنخية بين العلة والعلوٰ مما يجعل الأسرار والعلوم الإلهية الذاتية مترشحة على جميع العالم ولا يستثنى عالم منها بتّه.

وفي هذا يقول السيد العلامة الطباطبائي في نهاية الحكمة:

(ان المبدأ الذي يصدر عنه وجود المعلول هو وجود العلة، الذي هو نفس ذات العلة، فالعلة هي نفس الوجود الذي يصدر عنه وجود المعلول، وإن قطع النظر عن كل شيء . ومن الواجب أن يكون بين المعلول وعلته سخية ذاتية هي المخصصة لصدروره عنها، وإلا كان كل شيء علة لكل شيء، وكل شيء معلولاً لكل شيء)^(١) .

(١) نهاية الحكمة: للعلامة الطباطبائي، ج ٢ ص ٣٦ .

الأجوبة التي تثبت صحة

ما ذهب إليه

السيد الشهيد قدس سره

الأجوبة التي تثبت صحة ما ذهب إليه السيد الشهيد قدس سره

و الآن لنأتي و نثبت صحة ما قاله السيد الشهيد قدس سره بحق الإمام عليه السلام، و بيان المراد من طرحة بهذا المستوى، وسيكون ذلك من خلال عدة أجوبة، وقد تداخل بعض الأجوبة فيما بينها، وما ذلك إلا للضرورة و بيان المقصود بعدة وجوه، ولتوسيع الفكرة و تسهيل المطلب:

الجواب الأول:

بيان الاحتياج والفقر المطلق بالنسبة للمخلوق مع خالقه، و يبقى منها تكامل و وصل إلى مقدمات العصمة العليا، فإنه حادث و مجعل و محدود بالنسبة إلى القديم الأزلي السرمدي غير المحدود.

ويبين هذا المطلب قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبُّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾
القصص، ٢٤.

الجواب الثاني:

إنَّ في إسْتِشَاهَدِ الشَّيْخِ الغَزِيِّ بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَقُلِّ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ بُعْدًا وَاضْطَرَّ
عَنِ الْمَطْلَبِ، وَلَمْ يَكُنْ إِسْتِشَاهَدُ فِي مَحْلِهِ، إِذْ مِنَ الْمَعْرُوفِ إِنَّ
الآيَةَ الْكَرِيمَةَ، نَاظِرَةٌ إِلَى أَعْمَالِ الْعَبَادِ، مُبَيِّنَةٌ أَنَّ مَا مِنْ عَمَلٍ
يَقُومُ بِهِ الْفَرْدُ، إِلَّا وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَطْلِعًا عَلَيْهِ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ.

وَهَذَا مَا لَا خَلَافٌ فِيهِ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ حَاضِرَةٌ بَيْنِ يَدَيِّ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ أَئْمَاءٌ

الهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله .

فعن الرسول صلى الله عليه وآله قال: (إن أعمالكم تعرض عليَّ كل يوم، فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما
كان من قبيح استغفرت الله لكم) ^(١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئل عن قوله تعالى:
**﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**: إيتانا يعني ^(٢) .

وعن الإمام الرضا عليه السلام، عندما قال عبد الله بن أبان
له: (إن قوماً من مواليك سألوني أن تدعوا الله لهم،
قال: والله إني لا أعرض أعمالهم على الله في كل يوم) ^(٣) .

(١) ميزان الحكمة: ج ٧ ص ٢٨٣٧ .

(٢) نفس المصدر: ج ٧ ص ٢٨٣٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

والى غيرها من الروايات المعتبرة التي وردت بهذا الشأن.

وقد قال صاحب تفسير كتاب الأمثل بخصوص آية: ﴿وَقُلْ
اَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾:
أن الآية تشير إلى أن لا يتصور أحد أنه إذا عمل
عملاً، سواء في خلوته أو بين الناس فإنه سيختفي
على علم الله سبحانه، بل إن الرسول صلى الله عليه
وآله والمؤمنين يعلمون به إضافة إلى علم الله عزَّ
وجلَّ.

إن الإلتفات إلى هذه الحقيقة والإيمان بها له أعمق
الأثر في تطهير الأعمال والنيات، فإن الإنسان
ـ عادةـ إذا أحس بأن أحداً ما يراقبه ويتابع حركاته
وسكناته، فإنه يحاول أن يتصرف تصرفًا لا نقص
فيه حتى لا يؤاخذه عليه من يراقبه، فكيف إذا أحسَّ

وآمن بـأن الله ورسوله والمؤمنون يطلعون على
أعماله؟! .

إنَّ هذا الإطلاع هو مقدمة للثواب أو العقاب الذي
يتتظره في العالم الآخر، لذا فإن الآية الكريمة تعقب
على ذلك مباشرة وتقول: ﴿وَسَرِّدُونَ إِلَى عَالَمٍ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) .

وقال الجنابذى في تفسيره للأية المباركة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾
تهذيداً بعد ترغيب ﴿فَسَيِّرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الحالصور للإيمان المتحققون به، وهم
خلفاء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وإلا أكثر
المؤمنين الناقصين لا إطلاع لهم على أعمال الغير،

(١) تفسير الأمثل: ج ٦ ص ١٤٢ .

ولذلك ورد بطريق الخصر، أن المراد بالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة عليهم السلام.

فإن أعمال العباد تعرض صباحاً ومساءً في الدنيا على من جعله الله شهيداً على الخلق فأحدروا أن يعرض منكم ما إذا شوهد يسألكم وما إذا عرض على إمامكم يسأله كما في الأخبار^(١).

ويقول السيد الطباطبائي في معنى الآية المباركة: (وعلى هذا فمعنى الآية وقل يا محمد اعملوا ما شتتم من عمل خيراً أو شرًا فسيشاهد الله سبحانه حقيقة عملكم ويشاهدها رسوله والمؤمنون - وهم شهداء الأعمال - ثم تردون إلى الله عالم الغيب والشهادة يوم القيمة فيريكم حقيقة عملكم).

(١) تفسير بيان السعادة: للجنابذى، ج ٢ ص ٢٧٧.

وبعبارة أخرى: ما عملتم من عمل خير أو شر فإن حقيقته مرتبة مشهودة لله عالم الغيب والشهادة ثم لرسوله والمؤمنين في الدنيا ثم لكم أنفسكم معاشر العاملين يوم القيمة.

فالآية مسوقة لندب الناس إلى مراقبة أعمالهم بتذكيرهم أن لأعمالهم من خير أو شر حقائق غير مستورة بستر، وإن لها رقباء شهداء سيطلعون عليها ويزرون حقائقها وهم رسول الله وشهداء الأعمال من المؤمنين والله من ورائهم محيط فهو تعالى يراها وهم يرونها، ثم أن الله سبحانه سيفكشف عنها الغطاء يوم القيمة للعاملين أنفسهم كما قال: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرْكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ففرق عظيم بين أن يأتي الإنسان بعمل في

الخلوة لا يطلع عليه أحد، وبين أن يعمل ذلك العمل
يعينه بين ملئ من الناظرين جلوة وهو يرى أنه
كذلك^(١).

إذن نستتتج بعد هذا العرض ما يلي:

أولاً: إن الآية المباركة: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» هي آية ناظرة إلى أعمال الناس،
برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم. نعم هي على وجه
الإطلاق، لكن موضوع إطلاقها هو الأعمال، وهي لم تتعرض
إلى الأمور الأخرى التي هي من غير جنس الأعمال. فإنه من
المعلوم أن هناك علوم و المعارف لا تختص برؤية أعمال الناس،
كعلم الساعة مثلاً، أو كما قال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٩ ص ٣٩٣.

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَسَنَةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا في
كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿الانعام، ٥٩﴾.

فلو تمعنا في كلمات هذه الآية المباركة وعرفنا معانيها،
نرى أنها أعم وأشمل وأدق من الآية الخاصة برؤيه الأعمال،
ففيها أنواع من العلوم والمعارف، تزيد عن رؤيه أعمال الناس.

وفي معنى هذه الآية يقول السيد السبزواري قدس سره في
مواهب الرحمن: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ» آية عظيمة
تدل على سعة علمه عز وجل، وانحصره به، فلا
يشاركه أحد غيره، وكلمة (عِنْدَهُ) تقييد معنى
الشهود المطلق، والثبوت بنوع خاص في هذا المقام
بلا زمان ولا مكان، ولا حد من حدود الإمكان، ولا
مما يكون من ملابسات المادة، وهو يختلف عن

الحضور، سواء أكان علانياً أم غيره، ومثل هذا الشهود الخاص لا يكون إلا عند الله تعالى.

وفي قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: تأكيد لمضمون ما قبله، وبيان لاختصاص العلم بالمقدورات الغيبية به سبحانه وتعالى، بعد بيان إنحصر القدرة التامة والسلطة الكاملة عليها به عز وجل ... والأية الكريمة تبين حقيقة واقعية، وهي أن الغيوب التي هي في خزائن الغيب، ووُقعت في أستار الخفاء، وأقفال الإبهام، لا بد أن تحيط بها الحدود الإمكانية التي تحيط بالأشياء في عالم الشهود، وإن لم تكن من الغيوب المخزونة عند الله تعالى، إلا أن تخرج عن حكم الحد والقدر، وليس الإنسان كذلك، فإنه لا يحيط إلا بما هو محدود ومقدر، فالأشياء قبل

وجودها بالوجود المحدود والمقدور تكون غيّاً عند الله، وثابتة بنوع من الثبوت عنده عزّ وجلّ، وإن كانت كيفية ثبوتها وخصوصياتها مجهولة لنا، لا يمكن الإحاطة بها، فيكون الذي يحيط بها عالماً بالكيفية التي تكون عنده جميع المفاتيح، فيمتلك جميع الوسائل التي يتوصل بها إلى العلم بالغيب، وهو الله سبحانه الذي يعلم علينا ذاتياً بها، وهو الذي يكون عنده مفاتيح الغيب، وغيره عزّ وجلّ جاهل بالذات، لا يستطيع أن يعلم شيئاً منها إلا بإعلام منه عزّ أسمه .

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تعميم لمتعلق علمه، ليشمل كل ما يمكن أن يتعلق به علم غيره بوجه من الوجوه، فربما يكون حاضراً عند

بعض وهو غائب عن بعض آخر ...

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾
 بيان لإحاطة علمه سبحانه بالجزئيات منها كثرة
 واستصعب على غيره العلم بها، أو أن العلم بسقوط
 أوراق الأشجار، وما يؤول إليه أمرها، وما كانت
 عليه قبل سقوطها، وتمييز بعضها عن بعض مما يدل
 على سعة العلم، ودؤام المراقبة على الأحوال الطارئة
 عليها، ومثل هذا العلم منفي عن غيره عز وجل،
 فإنه إحاطي يدل على شدة المراقبة ودؤامها، وعظمته
 علمه مما يخل عن الوصف، ولعله من أجل ذلك أعاد
 حصر العلم به)^(١) انتهى .

(١) مواهب الرحمن: للسيد السبزواري قدس سره، ج ١٣ ص ٤٠٨

وما بعدها .

إذن هناك علوم ومعارف لا تخسب على أعمال العباد، ومعرفة ما قاموا به من خير أو شر، والسيد الشهيد قدس سره لم يكن يتكلم عن رؤية الأعمال ومعرفة الأئمة بها، فلقد كان كلامه عن الأعم من الرؤية، فانظر إلى قوله قدس سره: (إن الإمام عليه السلام بالرغم مما يستدل عليه في الفلسفة من استحالة الغفلة عليه ... لا يمكن الالتزام بكونه ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعه واحدة، فإن ذلك من خصائص الله عزّ وجلّ وحده) ^(١).

فأين مقام رؤية الأعمال الذي تعرض له السيد الشهيد قدس سره، فهو يتكلم عن رؤية كونية شاملة، ولم يتكلم عن الأعمال، حتى يكون الاعتراض مقبولاً والنقد الموجه صحيحًا.

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ص ٤٧١.

فهو قدس سره قال: (... لا يمكن الإلتزام بكونه ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعة واحدة) وهل يا ترى أن أعمال العباد هي كل الأمور في الكون ولا توجد أمور أخرى غيرها؟! .

نعم أعمال العباد هي جزء أو قسم من تلك الأمور، والأئمة عليهم السلام ملتفتون إليها، لكن الأمور الأخرى التي هي غير أعمال الناس، قد لا يكونوا ملتفتين إليها دفعة واحدة . فبالكون هناك سماء وأرض وبحار وشجر وسقوط أوراق ودواب بأنواعها الكثيرة والعجيبة وارزاق مادية ومعنوية، وقوانيين عليا وعلل ومعلولات لها، يتقوم أحدها بالآخر وهناك حركات وسكنات وأصوات، وهناك كرسي وعرش ولوح محفوظ وخزائن الغيب إلى غيرها من الأمور .

فالله عزّ وجلّ هو الوحيد الذي لا يشغله شأن عن شأن

ولا تشتبه عليه الأصوات، بل كل يوم هو في شأن . فهو القائل جل جلاله في كتابه الكريم:

- ﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ
مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ هود، ٦ .

- ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَضْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ﴾ سباء، ٣ .

- ﴿وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ
مَعْلُومٍ﴾ الحجر، ٢١

- ﴿وَلَلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المنافقون، ٧ .

إذن هناك علم مختص بالله تعالى، إلا إذا أراد عز وجل أن يطلع أحداً عليه أططلعه .

ثانياً: إن الآية المباركة: «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» تبين مقام من مقامات ومراتب الأئمة عليهم السلام التي تعطيهم حق الولاية على العباد، وذلك بعرض أعمال العباد خيراً وشرها عليهم، ليعلم المسلمون بأن أعمالهم لن تكون مخفية عن الله ورسوله والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين وإنما هي حاضرة عندهم، ولن تبعدهم الخلوة في أعمالهم عن ظهورها بين يدي الرسول والأئمة عليهم السلام، وسيكون هذا دافعاً كبيراً للابتعاد عن المعاصي والذنوب والتوجه إلى الطاعات والأعمال الحسنة.

الجواب الثالث:

قد يشير السيد الشهيد قدس سره إلى العلم الذاتي لله جل جلاله، وبهذا الإعتبار فإن هناك فارق جوهري بين العلم الذاتي وبين العلم المكتسب المفاض، فهناك دائماً حضور

للمعلوم لدى العالم، وهذا يختلف عما إذا أراد الإمام أن يعلم أعلمه الله، فقد ورد عن عمار السباطي، حيث قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟ فقال عليه السلام: لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك) ^(١).
 فإن هناك أمور فوق ما نتصور ونعقل نحن البشر الذين دون مقام العصمة، فهذه الأمور يدركها الإمام على كل حال، وكذلك هناك أمور فوق الأئمة لا يدركها إلا الله.

وباعتبار ومنظار آخر هناك نوعان من العلوم وهي:

علوم تختص بالشرع والتكاليف والقوانين الكونية التي تضبط مسير الإنسان بهذا الوجود الدنيوي، هذه القوانين بالأعم الأغلب لا يحيط بها الإنسان، وقد تخفي عليه بالمرة، لقصور الأبصار عنها، ونهاية العقول دونها، ولكنها لا

(١) الكافي: للكليني ج ١ ص ٢٥٧ .

تحفى بطبيعة الحال عن النبي والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بحيث يكون لهم الادراك والعلم بكلياتها وجزئياتها . وهذا من الفوارق الرئيسية بين الإمام وغيره . ولعله في قول الإمام الصادق عليه السلام لميسر عندما وضع يده على يد الأمة خارج دار الإمام إشارة لهذا المعنى، حيث قال له: (إدخل لا أبا لك، ثم قال عليه السلام لميسر: أما والله يا ميسر لو كانت هذه الجدر تحجب أبصارنا كما تحجب عنكم أبصاركم لكنا وأنتم سواء . فقلت: جعلت فداك والله ما أردت إلا الازدياد في ذلك إيماناً) ^(١) .

ومثل هذا إخبار الإمام ما وقع بين محمد مسلم وصديقه في السفر: (لئن ظنتم أنا لا نراكم ولا نسمع كلامكم

(١) علم الغيب: للشهرودي، ص ١٩٠ نقلأً عن مناقب آل أبي

طالب.

لبيس ما ظنتم لو كان كما تظنون أنا لا نعلم ما أنتم
فيه وعليه ما كان لنا على الناس فضل^(١).

وهناك علوم تخص الله تعالى، وهي بمرتبتها العليا قسم ينافي على الإمام، ومتى أراد أن يعلم أعلمه الله بذلك . وقسم يعلم الإمام أن هناك علوم لا تخصه، ولذلك فهو لا يبحث ولا يسأل عنها . وعلى هذا الأساس نقيم الفارق بين علم الله الذاتي والعلم المفاض على مخلوقاته . وفي هذا يقول العلامة الشيخ علي النهازي الشاهرودي في كتابه علم الغيب معلقاً على الحديث الشريف عن أبي جعفر عليه السلام: (يسط لنا العلم فنعلم ويقبض عننا فلا نعلم) يقول: (وأما فيما يتعلق بالروايات التي تقول: أن علم الإمام إرادي، أي أن ما يريد أن يعلمه يعلمه ، فإنه من المسلم أنه لا معنى لأن يعرف الإمام ما

(١) نفس المصدر والصفحة: نقلأً عن الخرائج والجرائح .

يعرفه مثل: علم الحلال والحرام، والأحكام وعلوم القرآن، وعلم الماضي والمستقبل إلى يوم القيمة، مرة أخرى ... وأما الأمور التي لا يعرفونها عليهم السلام ويريدون معرفتها، فهي أسرار مخفية عنّا.

ومن البديهي أن علومهم عليهم السلام، منها كانت كثيرة، فهي محدودة أمام علم الله، وهي بمقدار معين، ولذلك يكون لهم مجهولات، نعم، إذا أرادوا أن يعرفوا شيئاً من تلك المجهولات، فإن الله يطلعهم عليها)^(١).

الجواب الرابع:

كما أوضحتنا وبيننا بأن هناك عدة أقسام من العلوم، يمكن لنا النظر لهذه الجهة بمنظار واعتبار آخر فنقول:

(١) نفس المصدر: ص ١٩٣ .

ورد في الأخبار عن أئمة الهدى أن الله تعالى علمن،
أحد هما اختص به لنفسه وعلم أعطاه ملائكته ورسله والأئمة
المعصومين عليهم السلام . فقد ورد عن أبي عبد الله عليه
السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى علمن: على أظهر عليه
ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه
فقد علمناه، وعلى استئثر به فإذا بدا الله في شيء منه أعلمنا
ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا)^(١) .

وكذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله عز وجل
علمن: على عنده لم يطلع عليه أحد من خلقه، وعلى
نبذه إلى ملائكته ورسله، فيما نبذه إلى ملائكته ورسله
فقد اتهى إلينا)^(٢) .

(١) أصول الكافي: للكليني، ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

وعن علي بن ابراهيم بسنده قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل علمين: علم مبذول، وعلم مكفوف . فاما المبذول فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه، وأما المكفوف فهو الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب إذا خرج نفذ)^(١).

وعن سدير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (إن الله علِمَ عاماً وعلِمَ خاصاً، فاما الخاص فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولانبي مرسل، وأما علمه العام الذي اطلع عليه الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون، وقد وقع ذلك كله إلينا)^(٢).

(١) نفس المصدر: ج ١ ص ٢٥٦.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٥٤.

وعن الأصبغ بن نباته قال: (سمعت أمير المؤمنين يقول: إن الله علمنا: علم استأثر به في غيبه فلم يطلع عليه نبياً من أنبيائه ولا ملكاً من ملائكته وذلك قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةُ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدَاءً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَحْوَتُ﴾^(١).

فمن هنا نتساءل ونقول: ما المانع أو لماذا لا يكون العلم الذي يلتفت به إلى كل الأمور في الكون دفعه واحدة هو من العلوم التي اختص بها الله عز وجل، وكان من أقسام العلوم المحفوظة عن الملائكة والرسل والأئمة المعصومين، على اعتبار أن هناك علوماً لم يطلع عليها أحد من الخلق، واستأثر بها الله

(١) نفس المصدر: ص ١٥٦.

تعالى دون غيره . فتكون الغفلة هنا عن هذه العلوم ضرورية
الثبت للإمام عليه السلام .

وهناك قول للرازي جاء فيه: (إن الإنسان يمكنه أن يتعلم من
نفسه وكل ما كان كذلك فإنه يسمى حدساً، وهذا
الاستعداد يتفاوت في الناس، فرب إنسان لو أكبَّ
طول عمره على تعلم مسألة، تعذر عليه ذلك
وانصرف عنه بدون مطلوبه، ورب إنسان يكون
بالعكس حتى إنه لو التفت ذهنه إليه أدنى لفتة
حصل له ذلك، ولما رأينا أن الدرجات فيه متفاوتة
والمراتب مختلفة بالقوة والضعف والأقل والأكثر،
فلا يبعد وجود نفس بالغة إلى الدرجة القصوى في
القوة وسرعة الاستعداد لإدراك الحقائق، حتى كان
ذلك الإنسان يحيط علماً بحقائق الأشياء من غير

طلب منه وشوق، بل ذهنه ينساق إلى التائج من غير
مزاولة منه لذلك، ثم من تلك التائج إلى غيرها حتى
يحيط بغايات المطلب الإنسانية ونهايات الدرجات
البشرية، وتلك القوة تسمى القدسية، ومخالفتها
لسائر النفوس بالكم والكيف)^(١).

وما قلناه آنفاً لا ينافي قول الرazi، إذ من الممكن أن
تفاوض على النفوس العالية المراتب، الحقائق بعد الحقائق، بلا
طلب منهم ولا سؤال، ولكن في نفس الوقت هذا لا يمنع من
حجب بعض العلوم والتائج عنهم، لاستئثار علم الله تعالى
بهما، وهذا لا يقلل بطبيعة الحال شيئاً من شأنهم وقدسيّة
ذواتهم الطاهرة، إذ لا بد من مائز بينهم وبين الله تعالى في جميع

(١) علم الإمام: للسيد كمال الحيدري، ص ٢٣١ نقاً عن المباحث

المشرقة للرازي .

الأمور، فيبقى هو الرب وهم المربوبين، وهو الخالق وهم المخلوقين، وهذا الشيء يفتخرون به ويمتازون به علينا، لخضوعهم التام وعبوديتهم المطلقة له عزّ وجلّ.

الجواب الخامس:

ورد في الأخبار إنَّ الإمام متى ما أراد أن يعلم أعلمـه الله عزّ وجلّ، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم).

وكذلك ورد عن أبي عبد الله عليه السلام بسند مختلف أنه قال: (إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمـه الله ذلك).

(١) أصول الكافي: لثقة الإسلام الكليني، ج ١ ص ٢٥٨.

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة.

إذن هذه حقيقة مقررة، وهي أن هناك علىًّا خارج عن إحاطة الأئمة عليهم السلام، ولذلك قال، إذا أراد الإمام أن يعلم أعلمـه الله، وإن لم يـكـ هناك علىًّا قد غاب عن الإمام، فعندـها يـصـبـحـ لا مـوجـبـ لـقولـ الإمامـ إـذـاـ أـرـادـ أـنـ يـعـلـمـ أـعـلـمـ .

ويمكن لنا أن نقرر هذا القول بصياغة أخرى تكون أكثر وضوحاً، وهو ما دام أنَّ هناك علىًّا استأثر به الله تعالى لنفسـهـ، وعلـمـ آخرـ متـىـ ما شـاءـ أعـطـاهـ وأـفـاضـهـ للـإـمامـ، وـهـنـاكـ عـلـوـمـاـ هيـ منـ الأـسـاسـ مـفـاضـةـ وـمـبـذـولـةـ بـيـنـ يـدـيـ الإـمامـ، عـنـ طـرـيقـ الإـهـامـ أوـ النـقـرـ فيـ الـقـلـوبـ أوـ ماـ شـابـهـ ذـلـكـ .

وهـذـهـ الـعـلـومـ لاـ يـمـكـنـ أنـ تـخـتـصـ بـجـهـةـ دونـ جـهـةـ آخـرـىـ، أوـ محـلاـ دونـ المـحـلـ الآـخـرـ، لاـ فيـ السـمـاءـ وـلـاـ فيـ الـأـرـضـ، بلـ لاـ فيـ الـظـاهـرـ وـلـاـ الـبـاطـنـ، وـلـاـ فيـ الـكـونـ كـلـهـ،

وهذه الأسماء والتعابير اللغوية ما هي إلّا تقسيمات للمخلوق لكي يميز الموجودات الواحدة عن الأخرى، أما بالنسبة إليه تعالى فلا تختلف الموجودات بنسبيتها إليه فهو عزّ وجلّ: (لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطانه، ولا تخوف من عواقب الزمان ولا يستعana على نِدٍ مثاور، ولا شريك مكابر، ولا ضد منافر، ولكن خلاقاً مربوبيون، وعباد داخرون)، لم يحلل في الأشياء فيقال: هو كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن . لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبّر ما ذرأ ولا وقف به عجز عنّا خلق، ولا وبلغت عليه شبهة فيها قضى وقدر، بل قضاء متقن وعلم محكم وأمر مبرم، المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم) ^(١).

والإمام في هذه النشأة - نشأة الدنيا - له إحاطة تامة بالشريعة الإلهية وبالكتاب المبين، حلاله وحرامه، وفرضاته

(١) نهج البلاغة: ص ١٠٠ .

وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعراوئه، وخاصه
وعامة، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومت Başarه،
مفسراً بجمله، ومبيناً غواصيه .

ولكن هناك أمور أخرى لا تتعلق بالأحكام الشرعية
بالمباشر، ولا بالحلال والحرام فقط . وهي بكل تأكيد
خارجية عن تصوراتنا الذهنية، ومفرداتنا العقلية .

فعلى سبيل المثال، إذا ما حصلت في هذه الدنيا علامات
ونتائج تستتبعها آثار معينة يعلم الإمام بها على وجه التفصيل،
بأنها متى ما حدثت، ستحدث أمور أخرى مرتبطة بها على
نحو العلة والمعلول، والشرط والمقتضي، لكنها محكومة
بقوانين وعلل عليا، علمها خصوص بالله عز وجل، وهنا
يطلب الإمام الإزدياد في المعرفة والعلم حتى يكمل المسير
الإلهي في هذه النشأة .

وهذا الأمر في غاية التذلل والعبودية، وبيان الإحتياج المطلق بالنسبة للإمام مع خالقه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (وقل رب زدني علماً).

نعم ذلك لا يشكل نقصاً في ذات المعصوم، كونه قد عبر جميع المراتب الإنسانية، وجميع العلوم المقدرة بحسب الاستعداد، ونال شرف الأفضلية والأكمالية . وبذلك طلب المزيد بينه وبين الله تعالى، فain النقيصة في ذلك، ولسان الأولياء والأنبياء والأوصياء يلهج بذكر: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

الجواب السادس:

إن إثارة مثل هكذا إشكال، في الواقع يكون له حظاً من المقبولية متى ما وضعنا الأئمة عليهم السلام في مرتبة من

الكمال، هم وبقية البشر فيها على حد سواء. ففي هذه الحالة يمكن لنا أن نعترض ونثير عدة إشكالات لا إشكالاً واحداً.

أما إذا كانت المرتبة الكمالية للأئمة محفوظة لهم، وهم فيها لا يدانوهم أحد من الخلق أجمعين، فهنا يسقط الإشكال ما دام الكلام يخصّهم في تلك المراتب التي امتازوا بها عن الآخرين، أما إذا إنطل الكلام عن علم ومعرفة الأئمة عليهم السلام ونسبتها مع علم الله تعالى، حيثذا لا محذور في البين، فلا يمكن أن يقاس الخالق مع المخلوق، ليس بصفة العلم فقط، وإنما في جميع الصفات الأخرى.

وفي محل كلامنا وحسب العبودية الواقعية للأئمة عليهم السلام لله عز وجل، ومعرفة احتياجهم المطلق للباري عز وجل، يكون احتياجهم للعلم والاستزادة منه ضرورة، وفي جميع شؤون هذا الكون، سواء في عالم الدنيا وخصائصها، أو

عوالم الآخرة وأسرارها . وهذا من معانٍ قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ
 رَبُّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه، ١٠٤ . فلا خصوصية للزيادة في العلم
 في أمور لا تخص الحياة الدنيا وشئونها، ولا يمكن أن يتصور
 أنه لا يوجد أي مائز بين علم الله تعالى وعلم الأئمة في هذه
 الدنيا أو غيرها، فالدنيا أيضاً لها قوانين وعلل لا يمكن أن
 تنفك عنها فوقها أو دونها من العوالم . فهذا الوجود مرتبط
 بإحكام بعضه بالبعض الآخر، إرتباط المعلول بعلته، ويبقى
 الإحتياج ساري المفعول بين الماهيات المتباعدة بطبعاتها
 الخارجية، إلى أن تنتهي إلى علة العلل ومبدع الوجود جل
 جلاله .

الجواب السابع:

هناك مسألة هامة وجديرة بأن يلتفت إليها، وهي هل
 أن هناك اختلاف يفرض وجوده في آليات التعامل التي أتى

بها الأنبياء والمصلحون الإلهيون، يمكن أن يشكل نقطة بارزة ومحك اساسي في إثارة الشكوك، أو الإعترافات في هذا الأمر؟ أو قل هل هناك قوّة وشدة، أو ضعف وخمول بإتجاه التكاليف الملقاة على عاتقهم لهدایة البشرية؟ أم أنهم كلهم عالين، ولا يعصون الله طرفة عين، ولكن مقدار التفاوت يكون في سعة ذواتهم الشريفة في تلقي العلوم والأسرار. ومن ثم تحمل المسؤوليات الكبرى بحسب مراتب تلك الذوات القدسية؟ .

ولتوضيح هذه المسألة نعرض عدة أمور لكي نتمكن من الوصول إلى ثمرة هذا الجواب:

الأمر الأول: إنَّ جميع الأنبياء والمصلحين الذين طرحت إسأوالهم في عالم الدنيا، هم من ذوي السلوك الخلقي العالي، والأفعال الحميدة، والأسر الطاهرة.

ولم ينقل لنا التاريخ أو الكتب السماوية أية خلّة عليهم يمكن الطعن فيهم من خلاها .

الأمر الثاني: إن جميع الانبياء والمصلحين الإلهيين أدوّا ما عليهم من تكليف في هداية البشرية، وبذلوا غاية الوع والمجهود في سبيل إعلاء كلمة التوحيد الخالص بين مجتمعاتهم، ولم يقتصروا بهذا الجانب إطلاقاً .

الأمر الثالث: تختلف التكاليف الملقاة على عاتق الأنبياء في السعة والشمول، أو الضيق والخصوصية، ومن حيث نزول البلاء وتركيزه على مجريات أيامهم وصعوبة عصرهم . فكلما كان المجتمع أعمق فهماً، وأتباع الشيطان في الجهة الأخرى أكثر تسافلاً، يعلو شأن النبي المرسل لعلاج ظروف تلك المرحلة واستئصال أذرع الشيطان الأخطبوطية .

الأمر الرابع: هناك تدرج في بعثة الرسل، من حيث حجم المجتمعات المرسلين إليها، ومن جهة التلقي والقبول. فيبدأ إرسال الرسل من القرى والمدن الصغيرة إلى المجتمعات الأكبر إلى أن يصل الرسول لتكون رسالته عالمية، لا يشذ ولا يعزل عنها قوم دون الأقوام الأخرى، ولا جهة من جهات الأرض تكون في منأى عنها.

الأمر الخامس: تبقى الأفضلية والأكمالية تنبض، وروح التمايز حية بين الأنبياء والرسل «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» البقرة، ٢٥٣.

وأحد مميزات الأفضلية والأكمالية هي سمة الإحتياج للغير، ومن أهم ملامحها هو الإحتياج إلى العلم والمعرفة، ولنذكر الآن مثالين على ذلك:

الأول: هو ما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام في المسائل الثلاث التي عجز موسى عليه السلام عن معرفة أسبابها والمصالح المترتبة جراء حدوثها . مما أدى إلى إعراضاته المتكررة، ولم يستطع صبراً في تحمل ما قام به الخضر عليه السلام، حتى بين له المصلحة من وراء تلك الأفعال التي بدت ظاهراً مستهجنة للذى لا يملك تأويلاً لها .

بل نقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (رحم الله أخي موسى عليه السلام استحي فقال ذلك - أي قوله للخضر - (إن سئلتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً - لو لبست مع صاحبه لأبصر أعجب العجائب)^(١) .

(١) تفسير بيان السعادة: للجنابذى، ج ٢ ص ٤٧٥ .

الثاني: وهي بخصوص سليمان عليه السلام عندما غضب على المهدد، وكان سبب غضبه هو لأن المهدد كان يدلّه على الماء . فقد جاء عن أبي الحسن الأول عليه السلام عندما سأله أحد أصحابه في رواية نقل منها محل الشاهد:

(... إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقدمه وشك في أمره فقال: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْمُهَدَّدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [حين فقدمه]، فغضب عليه فقال: ﴿لَا عَذْبَنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبَحَنَهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا – وهو طائر – قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة له طائرين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه ...^(١)).

(١) أصول الكافي: للكليني ج ١ ص ٢٢٦ .

فهذا الذي جرى مع نبي الله سليمان عليه السلام مع ما وصفه به الإمام من طاعة المخلوقات له، فقد جهل ما علمه . المدهد.

وكذلك الذي جرى مع موسى عليه السلام بالرغم من أنه من أولي العزم وصاحب شريعة مهمة، وكان من جهة النبوة والرسالة، وتبلیغ أحكامها، وحفظ مراتب الكثرة، أفضل وأكمل من الخضر عليه السلام، ولكنه في جهة من جهات المعرفة والتأویل، كان محتاجاً إلى التعلم من قبل الخضر، بالرغم من أن إعترافات موسى عليه السلام كانت كلها بحسب ظاهر الشريعة مقبولة، بل هي عين الصواب، ولكن لبواطن الأمور، وتأویلاتها الملکوتية أسرار وأسرار، لا يحيط بها إلا الله تعالى أو من ارتضى من رسول.

فهذا من جهة الانبياء والرسل الذين سبقوا رسولنا

الأعظم صلى الله عليه وآلـه، أما بالنسبة لرسولنا والأئمة
صلوات الله عليهم أجمعين، فإن مثل هذه المكاففات
والخواريات والإحتياج بمثل هذه الجهات، لا يمكن أن
تصور بالنسبة لهم، لأنهم معدن العلم وأصله، وهم فُضّلوا
على من سبقهم بميزة العلم والمعرفة وسعة الإحاطة وشدة
التعلق بالمعبد .

وكم ذكرنا سابقاً في الرواية عن سيف التمار عندما كان مع
الإمام الصادق عليه السلام مع جماعة من الشيعة،
وكذلك ما جاء في تكملة الرواية عن أبي الحسن
الأول عليه السلام بخصوص سليمان عليه السلام
والمدهد حيث قال: [...] (ولو أن قرآنًا سيرت به
الجبال أو قطعت به الأرض أو كلام به الموتى) وقد
ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال

وتقطع به البلدان، وتحبسى به الموتى، ونحن نعرف الماء
تحت الهواء ...) [١].

فمن هذا نستتتج بأن الأئمة عليهم السلام لا يحتاجون
في رفد علومهم، والازدياد في رفع الغيبات إلى أي مخلوق
 بشري أو كائن آخر، كما احتاج باقي الانبياء والرسل إلى
 مخلوقين للتعلم والإزدياد منهم، وهذا كما قلنا من باب
 الأفضلية والبعد التكاملية للأئمة، الذي لا يستطيع رصده
 وضبطه إلا الله عز وجل .

ولكن يبقى العلم عند الأئمة عليهم السلام هو ليس
 مطلقاً العلم، بحيث يشمل الاطلاع على العلم المختص بالله
 تعالى، فكما أن الانبياء والرسل قبل محمد صلى الله عليه وآله
 بالرغم من علو شأنهم، وخطر منزلتهم، وسلطتهم التشريعية

(١) المصدر نفسه: ج ١ ص ٢٦١.

على ما هو موجود في زمانهم، إلا أنَّ الله تعالى أخفى عنهم بعض الأشياء، احتاجوا لعرفتها البشر مثلهم أو لطائر من الطيور . ولكن بعد أن وصل الأمر لرسولنا الأعظم صلَّى الله عليه وآلِه وآله وأئمَّة من ولده، اختلف الحال وأصبح من المتعذر، بل من المستحيل احتياجهم إلى أحدٍ من المخلوقين، وأصبح الاحتياج إلى التزود من العلم والمعرفة فقط إلى الله جلَّ جلاله، وبما أنَّ سُنَّة الله في خلقه قائمة على الاحتياج والتكامل آنًا بعد آن، أصبح أمر تعلم الأئمَّة عليهم السلام منوطاً بالله تعالى مباشرة، وهو الذي في كل آن يمدُّهم بالمعرفة والاستزادة، فيفصل لهم ما أجمل، ويقرر ويثبت ما كان قد عرَضَ عليهم، وقد لبس ثوب البداء، فالله تعالى هو القائل: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» فهو اللامحدود في علمه وغيره المحدود المقيد بقيد الإمكان .

والأَن نستطيع أَن نقول: كَمَا غَفَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَنْ مَعْرِفَةِ تَأْوِيلِ مَا قَامَ بِهِ الْخَضْرُ، وَكَذَلِكَ غَفَلَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَكَانِ الْمَاءِ الَّذِي يَعْرَفُهُ الْمَهْدُودُ،
فَكَذَلِكَ الْأَئمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ نَحْنُ مِنْ الْغَفْلَةِ، لَكِنْ لَا
يُمْكِنُ لِخَلُوقٍ مَا أَنْ يَحْبِطَ بِهَا أَوْ يَدْرِكَهَا وَيُصْلِي إِلَى مَاهِيَّتِهَا.
وَتَبْقَى غَفْلَتِهِمْ مَعْلَقَةً بِالْعِلُومِ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لِنَفْسِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيَّهَا عَنْهُمْ تَفْضِيلًاً وَرَحْمَةً.

وَلَتَكُنْ الْغَفْلَةُ الَّتِي عَبَرَ عَنْهَا السَّيِّدُ الشَّهِيدُ قَدَسْ سُرُّهُ
مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَلَيْسَ كَمَا فَهَمُوهَا الْمُعْتَرِضُونَ، عَلَى أَنَّهَا غَفْلَةٌ تَحْبِطُ
بِالْأَئمَّةِ كَمَا تَحْبِطُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ السَّابِقِينَ فَضْلًاً عَنِ عَوَامِ
النَّاسِ.

الجواب الثامن:

إِنْ أَقْسَامَ عِلُومِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّتِي تَوْجَدُ

عندهم، وكما اشارت إليها جملة من الروايات هي ثلاثة ومن هذه الروايات:

عن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال: (مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحدث، فأما الماضي فمفسر وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقدف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أضل علمنا ولا نبي بعد نبينا) ^(١).

وعن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: رؤينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إن علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع فقال أمّا الغابر فما تقدم من علمنا، وأما

(١) المصدر نفسه: ج ١ ص ٢٦٤.

المزبور فيها يأتينا، وأما النكت في القلوب فلهمام، وأما
النقر في الأسماع فأمر الملك^(١).

فتكون العلوم عندهم عليهم السلام كما يلي:

١ - العلم الماضي .

٢ - العلم الغابر .

٣ - العلم الحادث .

وفي هذا الصدد يقول العلامة المجلسي قدس سره:

(ماض أي ما تعلق بالأمور الماضية وغابر أي ما تعلق بالأمور
الأتية قال في القاموس: غير الشيء غبراً أي بقي
والغابر الباقي والماضي وهو من الاضداد فاما

(١) نفس المصدر والصفحة .

الماضي فمفسر أي فسره لنا رسول الله وأما الغابر
أي العلوم المتعلقة بالأمور الآتية المحتومة فمزبور
أي مكتوب لنا في الجامعه ومصحف فاطمة وغيرها.
والشرائع والأحكام يمكن ادخالها في الأول أو في
الثاني أو بالتفريق وأما الحادث وهو ما يتجدد من الله
حتمه من الأمور البدائية أو العلوم والمعارف الربانية
أو تفصيل المجملات أو الأعم)١(.

ويقول المولى المازندراني في شرح الحديث الوارد عن أبي
الحسن موسى عليه السلام: (والحادث الذي يتعلق
علمنا به، وهو كل ما يتجدد في إرادة الله تعالى ويحتمه
بعد ما كان في معرض البداء قذف في قلوبنا بإلهام
رباني ونقر في أسماعنا بتحديث الملك وهذا القسم

(١) مرآة العقول: للعلامة المجلسي ج ١ ص ٦١٥ .

الأخير أفضل علمنا لاختصاصه بنا وحصوله لنا من الله بلا واسطة بشر بخلاف الأولين لحصولها بالواسطة ولعدم اختصاصها بنا إذ قد إطلع على بعضها بعض خواص الصحابة مثل سليمان وأبي ذر بإخبار النبي وبعض خواص أصحابنا مثل زراره وغيره بقراءة بعض مواضع كتاب علي عليه السلام) ^(١).

يفهم من ذلك:

أن العلم الماضي: هو كل ما تعلق بالأمور الماضية، أي ما كان، وهو العلم الذي تعلموه عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن بيّنه لهم مفصلاً، أو أنهم ملكوا باباً من أبواب علم

(١) شرح اصول الكافي: للمولى المازندراني ج ٦ ص ٤٩.

رسول الله يستطيعون به استخراج تفاصيل ونتائج الأمور
الماضية نتيجة ما يملكون من عقول قدسية كاملة .

أما العلم الغابر: (الغابر في النعت كالماضي والغابر الباقي من
 قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ الصافات،
١٣٥^(١)).

(والغابر: الباقي، والغابر: الماضي وهو من الأضداد
والمعروف في كلام العرب أن الغابر الباقي)^(٢) .

والمراد به هو العلم الذي حصل لهم بعد العلم الماضي، وفي
هذا الصدد يقول العلامة المازندراني في شرحه

(١) كتاب العين: ص ٤٠٧.

(٢) لسان العرب: لابن منظور ج ٦ ص ٥٦٣ .

لل الحديث: (والغابر المحتوم الذي تعلق علمنا به، وهو كل ما يكون مزبوراً مكتوباً عندنا بخط علي عليه السلام وإملاء الرسول وإملاء الملائكة، كما مر في تفسير الجامعه ومصحف فاطمة عليها السلام) ^(١)

وقد توهם البعض واعتبر هذا القول ناقصاً لأنه لا يحمل جميع متعلقات علمهم كعلوم الشرائع والأحكام، على اعتبار أنها أمور حالية ولا يشملها هذا التفسير ^(٢).

ونسي أن ما جاء في الجامعه أو مصحف فاطمة عليه السلام لم يخل عن الشرائع والأحكام الحالية، وإن لم يكن بشكل تفصيلي، فعلى أقل التقادير قد حوى الأسس العامة، أو

(١) شرح اصول الكافي: للمولى المازندراني ج ٦ ص ٤٩.

(٢) ينظر علم الإمام: للسيد كمال الحيدري ص ٣٠٥.

الكلية التي يستطيع من خلالها الإمام تفصيل الواقع
والجزئيات المستحدثة .

فعن أبي بصير قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام
فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا
أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه
السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: يا
أبا محمد سل عما بدا لك، فقال: قلت: جعلت فداك
إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه
وآله علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب
قال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه
وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب
ألف باب . قال: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة
في الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذلك .

قال: ثم قال: يا أبا محمد! وإنْ عندنا الجامعه وما
يذرهم ما الجامعه؟ قال: قلت: جعلت فداك وما
الجامعه؟ قال: صحيفه طوها سبعون ذراعاً بذراع
رسول الله صلى الله عليه وآله وأملائه من فلق فيه
وخط علي بيمنيه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء
يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب
بيده إلى فقال: تاذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت:
جعلت فداك إنما أنا لك فأصنع ما شئت، قال:
فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا - كأنه مغضب -
قال: قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وليس
بذاك.

ثم سكت ساعة أثيم قال: وإنَّ عندنا الجفر وما يدرِّيْهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء

من أدم فيه علم النبيين والوصيين أو علم العلماء
الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنَّ هذا
هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة
عليها السلام وما يدرىهم ما مصحف فاطمة عليها
السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها
السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلات
مرات أو الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال :
قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذاك،
ثم سكت ساعة، ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم
ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: قلت: جعلت
فذاك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.
قال: قلت: جعلت فذاك فـأي شيء العلم؟ قال: ما

يحدث بالليل والنهر أَلْأَمْرُ بَعْدَ الْأَمْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ
الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(١).

وكذلك عن بكر بن كرب الصيرفي قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وإن عندنا كتاباً أملأه رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام، صحيفه فيها كل حلال وحرام، وإنكم لتأتونا بالأمر فنعرف إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه)^(٢).

فهذه الروايات وغيرها من الروايات المعتبرة فيها دلالة واضحة، وإشارة بيّنة على أن الجامعة ومصحف فاطمة قد

(١) أصول الكافي: لثقة الإسلام الكليني، ج ١ ص ٢٣٩ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر: ج ١ ص ٢٤١.

حوت متعلقات علوم الشرائع والأحكام، ولم يكن شيء يخصها بالأمور الماضية أو القائمة في حينها، وإنما فيها حتى أرش الخدش الحالي الذي بينه الإمام الصادق عليه السلام حينها غمز يد أبا بصير وقال له: (حتى أرش الخدش).

وأما العلم الحادث: وهو العلم الذي لم يكن له في السابق حضور، وهو ذلك العلم الذي يقذف في القلوب وينقر في الأسماع، وقالوا عن الأول هو الإلهام والثاني تحديث الملك.

ولعل هذا العلم، هو الذي عناه الأئمة عليهم السلام في أحاديثهم ومروياتهم والتي منها:

عن صفوان بن يحيى قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (كان جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: لولا

أَنَا نَزَدَادُ لِأَنْفَدْنَا)^(١) .

وعن ذريح المازي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (يا ذريح لو لا أَنَا نَزَدَادُ لِأَنْفَدْنَا)^(٢) .

ومن أوضح مصاديق العلم الذي يزدادون منه هو ما ينزل عليهم في ليلة القدر، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: {قال الله عز وجل في ليلة القدر ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾} يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بها ليس فيه اختلاف، فحكمه من حكم الله عز وجل، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيبة فقد حكم الطاغوت، إنه لينزل في ليلة القدر إلى

(١) نفس المصدر: ج ١ ص ٢٥٤.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بـكذا وكذا، وفي أمر الناس بـكذا وكذا، وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عز وجلّ الخاص والمكتون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر، ثم قرأ: «وَلَوْ أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(١).

وكذلك ما يزدادون من العلم في ليالي الجمع، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (والله إن أرواحنا وأرواح النبيين لتوافي العرش ليلة كل جمعة، فيما ترد في أبداننا إلا بجم الغفير من العلم)^(٢).

(١) نفس المصدر: ج ١ ص ٢٤٨.

(٢) يصائر الدرجات: للصفار ص ١٨٥.

إذن بعد بيان تلك الأقسام من العلوم، يمكن القول بأن علم الماضي وعلم الغابر عند الأئمة لا يمكن أن تقع منهم سلام الله عليهم أجمعين الغفلة فيه، ومن هذه العلوم كما يبّينا كل ما يرتبط بالتشريع والأحكام وبيان الحلال والحرام، فإن كل ذلك حاضر بديهي لدى الأئمة فهم من هذه الناحية لا يزدادون شيئاً ولا يمكن أن تقع الغفلة والسهو فيه.

ولكن الغفلة بالمعنى الذي ذكرناه سابقاً يمكن أن تقع في القسم الثالث من علومهم، وهو العلم الحادث، ولذلك يحتاجون إلى الإزدياد من العلم آناءً بعد آن، ولا يمكن الإمام والإحاطة بكل علوم الكون وما يجري فيه دفعه واحدة، أو أنها حاضرة لديهم بكلياتها، فإن ذلك من مختصات الله تعالى، وعندها يبطل مثل هكذا إشكال.

الجواب التاسع:

يمكن أن يكون الجواب من خلال طرح سؤال وهو:

لماذا حدثت الغيبة الطويلة للإمام المهدي عليه السلام
وتشتمر إلى وقت لا يعلمه إلا الله عز وجل؟ .

وللإجابة عن هذا التساؤل، لابد أن يكون أحد
الأسباب كما يلي: وهو مسيرة ومعايشة الوجود الدنيوي بكل
تفاصيله، وملاحظة التجارب التي تمر بها الإنسانية على طول
خط وجودها الطويل، مع رؤية نشوء الحضارات وإنطمارها،
وما عاشته من عادات وطبعات ونظم إجتماعية واقتصادية
متنوعة، وهذا معلمٌ مميزٌ من معالم غيبة الإمام عليه السلام .
وخصوصاً وأن شخص الإمام المهدي عليه السلام ليس مخفياً
ومحوباً عن نوااظرنا ولا هو من صُعدَ في السماء، بل هو حي

بروحه وجسده، يحضر مواسم الحج ويقضي حوائج المحتاجين، ويحفظ المؤمنين ويشرف على تكاملهم، ولتكنا لا نستطيع أن نعرف هويته ونحدده، فهو مخفي عنا بعنوانه الواقعي لا بشخصه . ولذلك أخبرت الكثير من الروايات بهذا الخصوص منها:

عن محمد بن عثمان العمري قدس سره أنه قال: (والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه)^(١).

وعندما سُئل السفير الثاني عن الإسم قال: (محرم عليكم أن تسألو عن ذلك . ولا أقول هذا من عندي وليس لي أحلال وأحرام ولكنه عنه عليه السلام ... إلى أن قال:

(١) كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي ص ٣٦٤.

وإذا وقع الإسم وقع الطلب)^(١).

وكذلك خرج إلى محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ابتداءً من غير مسألة ليخبر الذين يسألون عن الإسم: إما السكوت والجنة، وأما الكلام والنار، فإنهم إن وقفوا على الإسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلوا عليه)^(٢)

هذا مضافاً ما جاء في الخبر عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء: سنة من موسى عليه السلام ... فاما سنة من موسى عليه السلام فخائف يتربّ ...)^(٣).

(١) نفس المصدر: ص ٣٦١.

(٢) نفس المصدر: ص ٣٦٤.

(٣) نفس المصدر: ص ٤٢٤.

ولو كان الإمام عليه السلام غائباً خفياً عن الأنظار،
 فلماذا شبهه سنة من موسى وأنه خائفًا يترقب؟ فلهذا دلالة
 واضحة على أن الإمام المهدى عليه السلام شخصه موجود
 ولكن إسمه بين العوام مفقود.

ولو كانت غيبة الإمام علّتها التامة هو خوف القتل،
 لكان في غيبة شخص الإمام وخفائه عن لحظات العيون، خير
 إجراء وقائي للحفاظ عليه من الطواغيت والظلمة، ولما
 احتاج إلى بذل المجهود، وسهر الليالي، ومتابعة مظالم العباد،
 وهو حي قائم بينهم يعرفهم ولا يعرفونه. وما كان هذا الأمر
 ليحدث - أي خفاء عنوانه وعدم معرفتنا الشخصية به - إلا
 لتحقيق أهداف تسير ضمن التخطيط الإلهي العام للبشرية،
 لا تتم هذه الأهداف إلا من خلال المعاشرة المباشرة مع
 الناس، وملاحقة التغيرات والتطورات التي تطرأ على

الأنظمة السياسية والنظم الاقتصادية، والعادات والطبع
الاجتماعية، كل ذلك سيساهم في وضع الحلول الناجعة،
لإنتشال البشرية من واقعها المأساوي الخزين .

كل هذا يحدث بإلمام وإحاطة تامة لكل ما يجري بهذا
الكون، هذه الإحاطة لا يتحمل ثقلها إلا الإمام المهدي عليه
السلام . وبالطبع هناك إحاطة كافية إجمالية، وهناك إحاطة
تفصيلية لكل الأشياء في هذا الكون، هذه الإحاطة
التفصيلية، لا يمكن أن تكون إحاطة دفعية، وإنما ستكون
إحاطة تدريجية، ولذلك يحتاج الإمام المنتظر هذا العمر
الطوويل من الغيبة .

ويمكن أن نقرب هذا الأمر بما يحدث في ليلة القدر
المباركة، من إزدياد الإمام فيها من العلوم والهبات، وكذلك

ازدياد الأئمة في ليالي الجمع، وكما ذكرنا سابقاً في الروايات
الخاصة بنزل العلوم في ليلة القدر وليالي الجمع فراجع .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزلي: العالمة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٢٠٠٨، ١٤٢٦ هـ / م.
- ٣ - الأصول من الكافي: ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرazi، (ت ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ) الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ١٣٨٨ هـ.
- ٤ - بصائر الدرجات في مناقب آل محمد: محمد بن حسن الصفار، نشر طليعة النور، قم ط ٣، ١٤٢٩ هـ .

- ٥- **تاريخ الغيبة الكبرى:** السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره، نشر دار القارئ، بيروت ط١، ٢٠٠٧هـ / ١٤٢٨م.
- ٦- **التحقيق في كلمات القرآن الكريم:** المحقق المفسر العلامة المصطفوي، الناشر مركز نشر العلامة المصطفوي، بيروت ط٣، ٢٠٠٩هـ / ١٤٣٠م.
- ٧- **تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة:** العرف الشهير الحاج سلطان محمد الجنابذى، نشر مؤسسة الأعلمى، بيروت ط٢، ١٩٨٨م / ١٤٠٨م.
- ٨- **شرح أصول الكافي:** المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ) تحقيق السيد علي عاشور، الناشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط١، ٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ.

- ٩ - علم الغيب: العلّامة الحاج الشيخ علي النّمازي الشاهرودي، ترجمة السيد جواد الرضوي الكربلائي، تحقيق الشيخ مرتضى الأعدادي الخراساني، نشر دار الولاية، قم ط١، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
- ١٠ - علم الإمام: تقرير لأبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الشيخ علي حمود العبادي، نشر دار فرائد، قم ط١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ١١ - الفروق اللغوية: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو سنة ٤٠٠ هـ) علق عليه ووضّح حواشيه محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، ٢٠١٢ م.
- ١٢ - الفرقان في تفسير القرآن: الشيخ الدكتور محمد الصادقي

الناشر دار الأميرة، بيروت ط١، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

١٣ - الكليات: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوبي (ت ١٠٩٤ هـ) تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، نشر ذوي القربى، قم ط١، ١٤٣٣ هـ.

١٤ - كتاب العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥ هـ) نشر دار أحياء التراث العربي، بيروت ط٢، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

١٥ - كتاب الغيبة: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ط٣، ١٤٢٥ هـ.

١٦ - كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الحسيني

الجرجاني الحنفي (ت ٨٢٦هـ) نشر دار الفكر، بيروت
ط ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

١٧ - لسان العرب: العلامة ابن منظور، الناشر دار الحديث
القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٨ - مفردات الفاظ القرآن الكريم: العلامة الراغب
الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان
داودي، نشر طليعة النور، قم ط ١٤٢٦هـ.

١٩ - معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن
زكريا (ت ٣٩٥هـ) اعتنى به الدكتور محمد عوض
مرعب والأنسة فاطمة محمد أصلان، الناشر دار إحياء
التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢٠ - ميزان الحكمة: محمد الريشهري، الناشر دار الحديث،

بيروت ط ١٤٢٢، ١٤٠١ هـ / ٢٠٠١ م.

٢١- **مفاتيح الجنان**: للشيخ عباس القمي، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ٢٤٣٠، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

٢٢- **مجمع البيان لعلوم القرآن**: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية (ت ٥٤٨ هـ) نشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠ م / ١٣٩٠ هـ.

٢٣- **الميزان في تفسير القرآن**: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة دار المجتبى، قم ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

٢٤- **مواهب الرحمن في تفسير القرآن**: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، منشورات دار التفسير

قم ط ١٤٢٨، ٣ هـ.

٢٥ - **مرأة العقول في شرح أخبار آل الرسول: شيخ الإسلام**
المولى محمد باقر المجلسي (ت ١١١ هـ) الناشر
مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم ط ١، ١٤٣٢ هـ.

٢٦ - **نهاية الحكمة: العلامة الكبير الفيلسوف السيد محمد**
حسين الطباطبائي، علق عليه الاستاذ الشيخ محمد تقى
مصباح اليزدي، نشر مؤسسة الخراساني للمطبوعات،
بيروت، بدون سنة طبع.

٢٧ - **نهج البلاغة: ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د.**
صبحي الصالح، نشر انوار الهدى، قم ط ١، ١٤٢٦ هـ.

٢٨ - **نهج البلاغة: تعليق آية الله السيد محمد الحسيني**
الشيرازي، نشر دار العلوم، بيروت ط ١، ١٤٢٩ هـ /

٢٠٠٨ م.

الفهرس

الإهداء	٣
المقدمة	٧
نص ما قاله الشيخ عبد الحليم الغزي	١٥
اعتراضات على السيد الشهيد قدس سره وليس واحد ...	٢٣
اثبات واقعية ما قاله السيد الشهيد قدس سره	٢٥
نص ما قاله السيد الشهيد قدس سره	٢٧
معنى الغفلة ومواردها	٣٥
أقسام الغفلة	٤١
أقسام العلم	٥٩

الأجوبة التي ثبتت صحة ما ذهب إليه السيد الشهيد قدس

٦٥..... سره

١٤٣..... المصادر والمراجع

١٥١..... الفهرس

صدر للمؤلف

- ١ - لماذا السيد مقتدى الصدر قائداً .
- ٢ - السيد مقتدى الصدر والمخلصون .
- ٣ - لماذا المسير الى مرقد السيد الشهيد محمد الصدر .
- ٤ - أسئلة معاصرة حول الإمام المهدي (عج) .
- ٥ - بحوث جديدة حول الإمام المهدي (عج) .
- ٦ - القول النَّاضِرُ في الدفاع عن الشهيد الصدر .
- ٧ - مقتدى الصدر قيادة فوق الشبهات .
- ٨ - شهيد بلا حجاب .
- ٩ - إشارات في الدفاع عن المعصومين .
- ١٠ - الرد الهام على كتاب شكوى الإمام .
- ١١ - دفاع عن فاطمة الزهراء ؟ .
- ١٢ - مقالات ودفع إشكالات .

١٣ - من وحي الإصلاح .

١٤ - خير في التاريخ .

١٥ - إفهام الأنام ماهية غفلة الإمام .